مكتبة المقتطف

الفلسفة الرواقية [1]

للدكتور عثمان أمين المدرس بكلية الآداب

هذا الكتاب يعتبر علامة الوقت في مصر والشرق العربي. موضوعه مدرسة واحدة من مدارس الفلسفة اليونانية، يعرض المؤلف كل ما يتصل بها في ثلاثمائة صفحة بالقطع الكبير، ويحيل في الهوامش الى مراجع يونانية ولاتينية وفرنسية وانجليزية والمانية وعربية، ويصادف معظم مسائل الفلسفة وتاريخها، ويقف عند كل منها وقفة العارف المحص الموازن. ويختم بثبت جامع للمراجع في اللغات المذكورة مع ملاحظات عليها، وبكشاف للاصطلاحات اليونانية ومقابلاتها العربية واللاتينية والفرنسية. كل هذا يعني أنه قد صار بيننا عثمان هيأوا أنفسهم للبحث العلمي الدقيق وأحاطوا بمكانه وحذقوا طرائقه.

المؤلفون في تقديره بعض العوض مما يلقون. وهذه غرة التعليم الجامعي في أقل من عشرين سنة، تخليق بالذين قاموا عليه أن يغتبطوا بها أشد اغتباط.

يعرض المؤلف لرجات زعماء الرواقية في اليونان والرومان، ويفصل آراءهم، ويناقش مختلف الاقوال فيها، بما لا يدع حاجة للاستزادة، ويسلخ في ذلك أكثر من ثلثي الكتاب. ثم يعرض لآثار الرواقية، فيتحدث عن أثرها في التشريع الروماني وفي المسيحية وفي الاسلام وفي عصر النهضة وعند ديكارت وسبينوزا. وكنا نتوقع أن يصل الى كانت، وفلسفته الخلقية مدينة للرواقية بالشيء الكثير، ولكنه لم يفعل. على ان الدكتور عثمان أمين أشار صراحة الى رواقية كانت (ص ١٠) فنستطيع أن نقول ان كتابه جاء صورة كاملة للمدرسة في نفسها وفي تاريخها.

---

(١) الكتاب الثاني من سلسلة « أعلام الفلسفة » الناشر مكتبة الخانجي سنة ١٩٤٥

واذا سمحنا لنفسنا بالتعقيب عليه ، وهذا حق للنقد العلمي ، قلنا ان وقفنا فيه عند أمور : منها ما نرى انه لا يذكر لغير المؤلف لاننا نقدر أن يكون له فيه رأي ؛ ومنها ما نرى الافصاح عنه هنا . وجملة ما سنورده ترجع الى رغبة في تقريظ الرواقية تشد بالمؤلف فيقول فيكاد القارئ يتوهم انه لم يكن قبلها فلسفة ، وان كل فلسفة بل كل تفكير جاء بعدها كان صدًى لها . وقد تلمس لحضرته بعض العذر في طول عشرته للمدرسة والمام النظر في تعاليمها ونشدان المثل الأعلى في الأخلاق ، ولكن شيئاً من الأناة كان واجباً .

يرى حضرته اننا « اذا رجعنا الى آراء المسيحيين أنفسهم وجدنا منهم من يرى في المذاهب الرواقية « تمهيداً » للانجيل ، بل لقد ظهر باللغة الالمانية كتاب ذهب فيه صاحبه الى أبعد من هذا ، فقرر ان « الرواقية أصل المسيحية » وجعل هذه العبارة نفسها عنوان كتابه » (ص ٢٢٢) . وكان خليقاً بصديقنا أن يورد أولاً الفوارق العميقة التي تفصل بين المسيحية والرواقية . فالرواقية تقول بوحدة الوجود أو بتأليه المادة ، وبالضرورة المطلقة ، وبفناء الشخصية الإنسانية بعد الموت ، وبجواز الانتحار ، وتقول المسيحية بالروحية ، وبأنه مفارق للمادة ، وبالحرية في الله والانسان ؛ وبنفس انسانية روحية خالدة ، وبعناية الهية فعالة ، وبانكار الانتحار ، عدا مقائدها الخاصة التي لا يقابلها شيء في الرواقية . وكان خليقاً به ثانياً أن يسترفي المراجع في هذه النقطة . ونحن نحب أن يميز كتّابنا بين المسيحيين مولداً والمسيحيين عقيدة ، فإن من بين أولئك كتّاباً ملحدين متحاملين فلا تؤخذ أقوالهم على علاتها ، بل اذا قورنت بالردود عليها تبددت كالهباء . ونحب أن يميزوا بين أقدار الكتّاب ، فإن منهم الخطير ومنهم الصغير ، ومنهم من ارتفع صيته لسبب من الأسباب ثم سقط ، مثل رنان الذي ينعته المؤلف بأنه « حجة الباحثين في أصول المسيحية» (ص ١٨٢) . وأقل ما أقول فيه الآن إن أحداً من المنصفين بهذه الأصول لا يذكره أو يرجع اليه ابتغاء العلم . هذه مسائل دقيقة عسيرة للغاية نحب أن يتحاشى كتّابنا الخوض فيها فيتحاشوا الزلل . ولا نرى بأساً في أن ندل على مثال بسيط لما يستهدف له الكاتب في عقد الموازنات : ففي ص ٢٢٧ يقول المؤلف « ان بين المثل الأعلى الرواقي والمسيحي فرقاً عميقاً : فالرواقيون يرون أن الفضيلة عبارة عن مجاراة الفطرة الطبيعية ... أما المسيحي فيرى أن الفضيلة عبارة عن مكافحة الطبيعة » والحقيقة ان لفظ الطبيعة مشترك بين الطبيعتين الحسية والعقلية ، وأن المسيحي يرى مكافحة الطبيعة الحسية ، كما يكافحها الرواقي ، لتغليب الطبيعة العقلية التي يعنيها الرواقي . فالطريقان متفقان ولا خلاف بينهما البتة في هذه النقطة . فناهيك بالمقارنة بين أقوال الرواقيين وأقوال الأناجيل ورسائل بولس . يبقى أن

كثيرين من المسيحيين ، الذين تنصروا بعد رواقية وأفلاطونية ، وغيرهم من بعدهم ، أفادوا من الرواقية في تفصيل القول في الفضائل ، وأخذوا عنهم بعض الاصطلاحات ، وهذا ما كان يستطيع حضرة المؤلف ان يستقصيه ، وهذا شيء آخر غير جوهر العقيدة .

وفي الكتاب أمثلة أخرى على هذا الغلو في الاشادة بالرواقية . منها قول حضرته مع الأستاذ جلسون إن نظرية المعاني الفطرية « وردت على لسان ديكارت حاملة طابع أصلها الرواقي » (ص ٢٥٩) : وإذا سلمنا بهذا كان لزاماً علينا أن نلاحظ أن النظرية أفلاطونية قبل ان كانت رواقية . ومنها هذه العبارة « لكن انكار الأشياء اللاجسمية عند الرواقيين لا يفيد انكارهم للروحانيات ، بل كل ما في الأمر انهم يجعلون من الروح جسماً من الأجسام » (ص ٢٨٢) ! ومنها اضافة الفضل الى الرواقيين في أفكار عامة مشتركة بين العقول ، كالتي يذكرها في ص ٢٧١ وفي غيرها ، وتوارد الخواطر ظاهرة معروفة خصوصاً في الأخلاقيات وفضل الأفلاطونية سابق ولاحق ، وفضل أرسطو غير منكور .

على أننا نريد أن نعلق ان هذه التحفظات لا تنال بحال من قيمة الكتاب ، فان قيمته كبيرة . يتجلى فيه علم غزير معروض بأسلوب رصين رشيق ، وتنساب فيه حرارة روحية صادقة تنفذ الى نفس القارىء فتسمو بها الى الخير . فهو خدمة جليلة علمية وخلقية . وإنه ليلذ لنا أن نهنىء صديقنا الدكتور عثمان أمين مخلصين بهذا التوفيق الجميل .

يوسف كرم

Muhammad Abduh

Essai sur ses idées philosophiques et religieuses

par Dr. Osman Amin

طبع بمطبعة مصر بالقاهرة وبه مقدمة لمعالي مصطفى عبد الرازق باشا

هذا الكتاب ألفه بالفرنسية الدكتور عثمان أمين المدرس بكلية الآداب ، وهو بحث مستفيض في آراء الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده الفلسفية والدينية والاجتماعية وقد تقدم به المؤلف لنيل اجازة الدكتوراة فظفر بها مع مرتبة الشرف الممتازة

ولقد أنصف الأستاذ المؤلف في وضع هذا الكتاب بالفرنسية ليعرّف علماءنا ومصلحينا وقادة الرأي فينا الى الأجانب وليلقي ضوءًا على نواحي النهضة في بلادنا .

وسنعود في فرصة أخرى الى توفية هذا الكتاب القيم حقه من الدرس والتقدير

الانجليز كما عرفتهم

مطالعات ومشاهدات عن المجتمع البريطاني

تأليف أمين المميز — مطبعة السكك الحديدية الحكومة العراقية — ٣٣٢ صفحة من القطع الكبير — الطبعة الاولى سنة ١٩٤٠

من السن المتبعة في السلك السياسي العراقي أن يؤلف الموظف فيه رسالة عن الأمة التي انتدب للعمل في بلادها وان يكون تأليفه بلغة الأمة نفسها وهذه سنّة محمودة فقد كان من ثمراتها هذا الكتاب النفيس الذي ألفه الأستاذ أمين المميز وهو من كبار رجال السلك السياسي العراقي . أنفه لما كان يعمل في المفوضية العراقية في لندن ثم ترجمه الى العربية ببعض التصرف ويتم مقدمة الكتاب بقلم السيد توفيق السويدي بك وبخامته من خيار رجال العراق علماً وفضلاً وله منزلة ممتازة في علمه وفضله وحكمه . ولقد ولي رياسة الوزارة العراقية عدة مرات بعد ما كان من كبار رجال الطارق . وقد أثنى بخاتمته على المؤلف بما هو أهل له وأشار الى فائدة الكتاب وفائدة التعارف التي يحدثها بين العرب والانجليز فقال :

« وإذا تعرّف الجمهور العراقي الى صديقه وحليفه الجمهور الانجليزي يكون من السهل تقوية أواصر المودة بينهما وخدمة المصالح المشتركة التي تأسست لحسن الحظ وتوطدت أسسها لا بين العراق وحده وبريطانيا بل بين العالم العربي وبينها . وفي ذلك ما لا يقدّر من منافع تعود بالخير العميم على الجميع » .

والمؤلف الفاضل يضرب على هذه النغمة بجلاء في خاتمة مقدمته فيقول :

« نحن مقبلون على عالم جديد وحياة جديدة ستختلف في كثير من النواحي عن الحياة التي اعتدناها طلنا السالف . وعلينا ان نعد العدة ونتكب السلاح لمواجهة هذا العالم الجديد . وحريٌّ بنا نحن معاشر العرب أن ندرك أننا أقرب بتفكيرنا وآمالنا ومطامحنا ومثلنا العليا وطرق حياتنا ونظمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى العالم الانجلوسكسوني من أية مجموعة دولية أخرى . فعلينا إذن أن نتفاهم ونتعاون ونتبادل الرأي والشعور والمصلحة معه بالدرجة الأولى ان أردنا أن نحقق مهمتنا ونؤمن خيرنا وسعادتنا ونحتل المركز اللائق بنا بين مجموعات الشعوب العالمية »

وبعد ذلك تحدث المؤلف عن التشابه بين العراقي والانجليزي فقال : « فلو قارنا بين طبيعة الفرد العراقي وطبيعة الفرد الانجليزي لرأينا الفرق البين بينهما ، فتباين الأحوال الجوية والمناخ المتقارب ذي الصيف الحار جداً والشتاء البارد جداً جعل من العراقي فرداً سريع

التأثر والانفعال تسيره العاطفة في كثير من الأحيان . أما الانجليزي فهو على العكس من ذلك فإن قد الطبع يطوع التأثر الى درجة انه يوصف بالبلادة » . ثم قارن بين العراقيين والانجليز في تعلم اللغات واتقانها في صفحتي ١٧ و ١٨ ولم ينته أن يظهر للعرب فضلاً على الانجليز في اقتباسهم العلم عن العرب في صفحة ١٤ . ولما تكلم عن مشكلات الانجليز أشار الى المشكلة الفلسطينية في صفحتي ٢١٠ و ٢١١ فقال : — « وفي هذه الامبراطورية التي أغدقنا عليها آيات الوصف والاعجاب ثلاث قضايا معقدة ما زالت أعقد من ذئب الذهب ولم تتوصل أدمغة الساسة الى إيجاد حل لها وهذه القضايا هي : القضية الفلسطينية، والقضية الارلندية، والقضية الهندية . فالقضية الأولى نشأت منذ أن استحوذت بريطانيا على الأراضي المقدسة بحجة « الانتداب » فخلقت ما يسمى بالقضية الفلسطينية تلك القضية التي أصبحت الآن ليست قضية فلسطينية وانما قضية بين العرب والصهيونيين ، بين الاسلام واليهود ، بين الجنتر والجرمان بين الشرق والغرب . وبكلام أوضح بين الحق والباطل . والبحث فيها خارج عن نطاق موضوعنا هذا والأفضل أن نترك أمرها لغيرنا » .

والكتاب منقسم الى أربعة فصول استوفى المؤلف البحث فيها عن الرجل الانجليزي والمرأة الانجليزية وحياة الانجليز السياسية والاجتماعية . وقد أسهب في ذلك كثيراً . واذا شئنا الاسهاب في سرد ما امتاز به الكتاب من معارف ومعلومات طارفة وتليدة احتجنا لمساحة لا تتسع لنا هنا ولوقت كبير . فنقول اجمالاً ان للكتاب لذة كتب السياحة والوصف وهو مع هذا كتاب له روح التحقيق والاستقصاء وفيه حرية متسمة في نقد ما رآه خليقاً بالنقد وتشيد [illegible] المؤلف الثناء والاعجاب .

محيي الدين رضا

زمزم الغريقة

لمحمد كامل الفرر بالامزام — ١١٠ صفحة من القطع المتوسط — طبع بدار احياء الكتب العربية بمصر

يمتاز هذا الكتاب بميزتين : كثرة التحقيق وحلاوة الاسلوب . أما التحقيق فليس غريباً على مؤلفه الفاضل فقد عرفته الصحافة الرفيعة كيف يتحرى الدقة في الأخبار وكيف يكون أميناً عليها . وأما الاسلوب فليس فيه تكلف ولا اغراب . ولكنه عذب ينساب في خلال الكتاب انسياب الجدول الترقرق .

والمؤلف وصّاف بارع يقربك حديثه من سطر الى سطر ومن صفحة الى أخرى حتى أتى على الكتاب كله في جلسة واحدة . فهو بارع حين يصف البحر الهادىء حيناً والمضطر

حيناً آخر ، وهو بارع حين يصف زعزع وقد تلقفتها أمواج المحيط وهو بارع حين يصوّر لك حياة الظلام في المنار . . . وهو بارع حين يعود بالمعتقلين الى وطنهم العزيز ليشقوا نسمات الحرية من جديد .

لقد ذهبت زعزع الى قضائها المحتوم وبقي كتاب « زعزع الغريقة » أثراً باقياً لها . فنهنئ المؤلف على كتابه ، ونشكر دار احياء الكتب العربية على معونتها الصادقة لنشر الآداب والعلوم .

١ — الحياة الروحية في الاسلام

للدكتور عبد الحليم منتصر مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول
٢٦٠ صفحة من القطع الوسط — طبع بدار احياء الكتب العربية

٢ — الملامتية والصوفية وأهل الفتوة

للدكتور ابو العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول
١٢٥ صفحة من القطع الوسط — طبع بدار احياء الكتب العربية

فكرة موفقة ، ونهضة مباركة ، فأما الفكرة فهي قيام الجمعية الفلسفية المصرية بما أخذته على نفسها من إصدار تلك السلسلة القيمة من المؤلفات يشرف على إصدارها عالمان جليلان هما الدكتور علي عبد الواحد وافي رئيس الجمعية ، والدكتور عثمان أمين سكرتيرها العام ، ولعمري انها لواسعة وخلقها النبيل أثر ملحوظ في نجاح تلك الفكرة ... ولدار إحياء الكتب العربية التي أخذت على عاتقها إخراج هذه السلسلة فضل لا يجحد في تدعيم تلك الفكرة .

وأما النهضة المباركة فظهرها في هذه الحيوية المتدفقة في آثار تلك الجمعية ، فلقد أخرجت خمسة مؤلفات قيمة ولمّا تمض على تكوينها بضعة أشهر ، وأمامها سلسلة من المؤلفات النفيسة قدّم مؤلفوها اليها لتتابع إخراجها .

ولقد شاءت المصادفة أن يخرج من مؤلفات هذه الجمعية كتابان متناليان يبحثان في عالم واحد هو عالم الروحية الاسلامية .

وانها لفكرة جميلة أن يصدر هذان الكتابان ، وقد هدّت المادية أعصاب العالم وقوّضت أركانه وزعزعت إيمانه حرب طاحنة غلبت فيها شهوات الجسد وأطماعه روح الخير في الناس فاندفعوا وراء أطماعهم ومدبّتهم يتصارعون ويهدمون ويحطمون حتى أنفسهم لا يردعهم هاتف روحي ولا يعصمهم مثل من أمثلة الانسانية المتجردة عن أطماعها .

فأما الكتاب الأول فقد تناول في مؤلفه الفاضل الحياة الروحية في الاسلام تلك الحياة « التي يخضع فيها الانسان لألوان مختلفة من مجاهدة النفس وكشف حجاب الحس ، وتصفية القلب وتنقيته من أدران الشهوة والهوى ، وقطع العلائق المادية التي تشد عليه صلته بربه ، وصلته بأشباهه ، ثم هي بعد هذا كله تأمل في الكون ، ومشاهدة لبدع الكون مشاهدة سبيلها الغناء عن النفس البشرية ، وقوامها البقاء في الذات الالهية ، والاتحاد بالحقيقة العلية ، والتحقق بمعرفتها معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها » . وبيّن كيف نشأت هذه الحياة من تحنث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم تناول حياة محمد النفسية وأحواله وأقواله في الزهد والتقشف مما كان له أثر في حياة أصحابه والتابعين له .

وانتقل بعد ذلك الى الكلام على مصادر الحياة الروحية الاسلامية ، وناقش كل مصدر ، وهو يميل الى مسايرة الحياة العربية في الجاهلية عند الكشف عن مصدر الروحية بحيث يمكن القول بأن حياة الزهاد والصوفية في الاسلام إنما هي استمرار لهذه الحياة الخشنة التي كان يحياها العرب الجاهليون ، وهو بهذا يرى ان بذور الروحية الاسلامية نشأت في الجزيرة العربية ولم تتلق أصولها من مصادر هندية أو فارسية أو نصرانية أو يونانية . . . ثم تناول بعد ذلك زهاد القرنين الاولين للهجرة وخصائص الحياة الروحية للزهاد وعرض لناحيتين من الزهد في حياة زاهدين : الحسن البصري تمثيلاً للزهد مع الخوف ، ورابعة العدوية تمثيلاً للزهد مع الحب . ثم تكلم عن الصوفية والتصوف وعن معناهما ثم انتقل من ذلك الى خصائص التصوف في القرنين الثالث والرابع والصراع الذي قام بين الفقهاء والصوفية ومذهب الحلاّج ، حتى أشرف على القرن الخامس فتناول حياة الغزالي الروحية وتطرق البحث الى علم الكلام والفلسفة وتصنيف العلوم والمعرفة والسعادة عند الغزالي ، ثم تناول خصائص التصوف في القرنين السادس والسابع وتكلم عن رجاله السهروردي وابن عربي والفارض — والعقول دراسة واسعة عن هذا الشاعر الأخير لم نسعد بقراءتها بعد — وابن سبعين حتى انتهى به البحث الى التصوف بعد القرن السابع والى ما أصابه بعد ذلك من تدهور وانحطاط وبذلك تمت الناحية التاريخية عن هذا البحث القيم ، ولعل الوقت لا يطول على اخراج القسم الثاني من هذا البحث في الناحية الموضوعية

• • •

أما الكتاب الثاني الذي وضعه الدكتور ابو العلا عفيفي فقد قصره على الكلام على

الملامتية والصوفية وأهل الفترة . والملامتية فرقة من فرق الصوفية ظهرت بمدينة نيسابور بخراسان في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة تقوم فكرتها على اتهام النفس ولومها في كل ما يصدر منها من قول أو عمل ومحاربة الرياء . واذا كانت غاية الصوفية — في مقارنة السهروردي — الفناء في الله ورؤية الحق بعين الزوال لا تعميم النفس ولا اخلاصها ولا الخلق وآرائهم لأن سلطان الحقيقة يستولي عليهم فلا يشاهدون عيباً ولا رياءً . أما الملامتية فأهل صحو وإدراك يرون ان الغاية من الطريق الاخلاص في الأعمال وتحريرها من معاني الرياء . وأما الفتوة فاسم أطلق على مجموعة من الفضائل وكانت في الصدر الأول من الاسلام أمراً فردياً ولم يعرف لها نظام اجتماعي الا في عصر متأخر . . . وقد تناول المؤلف في القسم الأول من كتابه مذهب الملامتية ونشأته التاريخية والصلة بين تعاليمها وتعاليم الصوفية وأهل الفترة كما تناول أصولها وفلسفتها في النفس . وانتقل في القسم الثاني الى رسالة الملامتية التي ألفها أبو عبد الرحمن السلمي وقد مهد لها بدراسة مستفيضة عن مؤلفها ومنزلته من تاريخ التصوف وتلاميذه وتصانيفه .

* * *

وختام القول ان المؤلفين الفاضلين قد أحسنا صنعاً باخراج هاتين الدراستين النفيستين في الروحية الاسلامية في هذا الزمن الذي يجب ان تقوى فيه عوامل الخير ومحاربة النفس . وقد أحسنت الجمعية الفلسفية في اصدارها هاتين الحلقتين موصولتين . وعسى جهد مشكور

فمن أمثل التصيرفي

مشكلات الاطفال اليومية

تأليف الدكتور احمد عزت راجح وترجمة الاستاذ انسطاس ميخائيل — صفحاته في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير — طبع بدار المعارف بمصر

كتاب عملي يعرض كافة المسائل التي تعرض لسلوك الاطفال وتربيتهم وهو يهم الآباء والامهات والأطباء والمعلمين الاطلاع عليه لما فيه من الفوائد والبحوث النيرة الروحية وما فيه من عرض وتحليل لأسس الصحة العقلية والنفسية .

وسنعود في عدد ثانٍ الى دراسة هذا المؤلف النفيس

١ — شخصيات ومذاهب فلسفية

للدكتور عثمان أمين — ١٦٠ صفحة من الحجم المتوسط — دار إحياء الكتب العربية بمصر

العقل بطبعه ميّال الى المعرفة طموح الى زيادتها ، لا يقنع بكشف ما ، بل يتشوّف الى المزيد ويتطلع دواماً الى آفاق جديدة . هذا ما عليه علينا الطبيعة الانسانية الصحيحة التي تأبى إلاّ أن تستغلّ كل عضو من أعضاء الجسم فيما خلق له وتسرف في هذا الاستغلال مخافة أن يتراكم عليه الصدأ ويبلى بطول الوقت . ولن يجد العقل غذاء دسماً يملأ زواياه وينتشر في خلاياه كالفلسفة . فالفلسفة غذاء ذهنيّ شهي كلما هضمته زاد شوقك إلى سواه ، وما أنت بقانع مهما اتسع عقلك له .

ويطيب للعقل أن يسبح فيما وراء الطبيعة محاولاً أن يتفهّم كنهها ويدرك ما خفي عنه منها ويسبر غورها ويتفرّس في أسرارها وخباياها لعله يوفق الى استجلاء ما غمض عليه وتعليل ما أشكل عليه من الخواص . وما الفلسفة إلاّ حب المعرفة والسعي لادراكها بأساليب ومناهج شتى وتتوسل الى ذلك بالمنطق مرة ، وبالحواس أخرى ، وبالاستنتاج مرة ثالثة .

والفيلسوف بطبعه لا يعنت إلاّ كل مختزن للمعرفة ضنين بها على الآخرين ، فما الأثرة من سجايا الفلاسفة ، وإنما الايثار والمشاركة . لذلك رأى الدكتوران علي عبد الواحد وافي وعثمان أمين أن يصدرا سلسلة من المؤلفات الفلسفية يشرف عليها من علو معالي الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ليستطيع المبتدئون في الفلسفة أن يشقوا طريقهم بين خضمها وليلمّ الذين يتهيبون الفلسفة بما يهيء لهم سبيل الاقبال على مناهلها والورود بنابيعها .

وأصدر صديقنا الدكتور عثمان أمين أستاذ تاريخ الفلسفة في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول كتاباً يجمع الى سهولة التعبير عمق المادة ودقة الرواية وإصالة الفكر وجمال العرض . وتناول في « شخصيات ومذاهب فلسفية » ثلاثة من الفلاسفة ، سرد سيرتهم وفصّل مذاهبهم ودفع عن بعضهم ما لحقهم من إتهامات . واختار أن يعرض فلاسفة من اليونان ، فتحدث عن السوفسطائيين الجدليين الذين يتاجرون بالكلام وبالمنطق ، وعن سقراط الأخلاقيّ الشجاع الذي أبى أن يهرب من السجن لينقذ حياته وآثر مذوت الشريف على الحياة الذليلة . ثم عرض فلاسفة من الاسلام فتحدّث عن الفارابي الذي بدأ شبابه متفلسفاً وقضى كهولته متفلساً وختم حياته متصوّفاً ، وعن ابن سينا الذي تقلد مناصب الوزارة والرياسة ولم يسلم من جناية السياسة عليه ، وعن ابن رشد الفايلسوف الذي كتب نحواً من عشرة آلاف ورقة وتبحر في الشروح والبحوث الدينية والفلسفية وكان بعيد الأثر في فلسفة الغرب . ثم تناول الدكتور عثمان أمين فيلسوفين أوربيين هما ديكارت زعيم المدرسة العقلية وصاحب نظرية الشك في كل شيء ، وهيوم التجريبيّ الاختباري الناقد .

فالكتاب لم يقتصر على عصر معين أو فيلسوف معين، بل وسع دائرة بحثه ليستطيع القارىء أن يلم بمدارس فلسفية متنوعة وأساليب متباينة. فقرأنا فيه عن فلاسفة ماديين وعن آخرين أخلاقيين وغيرهم عقليين وعمليين ونظريين، وسمعنا عن اليونان والاسلام وفرنسا وانجلترا، وما كل هذا الجهد وكل هذا العناء الا لنذوق القارىء حلاوة الفلسفة وليشاركه الفلاسفة فيما يهدفون اليه من حب للمعرفة وسعي حثيث لادراكها ومتعة في النفاذ الى أعماقها السحيقة.

ولم يكتف الدكتور عثمان أمين بسرد النظريات الفلسفية مجردة من الشهيات، بل لجأ الى مدّ كتابه بطائفة من الحوادث الطريفة عن كل فيلسوف. فقال عن ابن سينا انه كان بارعاً في الطب النفساني، فجيء اليه برجل أصيب بالمالیخوليا ليعالجه. وكانت العلة قد اشتدت على المريض حتى سيطر عليه الاعتقاد انه أصبح بقرة، فشرع يقلد الابقار في خوارها ويشرب معها ممتنعاً عن مؤاكلة بني الانسان. فقال ابن سينا للمريض: «علّ مذبحك ما دمت أصبحت بقرة» فأجاب المريض: «افعل ما تشاء» فأمر ابن سينا بأن يقيد المريض بحبل وأن يلقى على الأرض ويؤتى بسكين حاد. فلما جيء بالسكين، أهوى به على المريض كأنه يريد ذبحه. فلما قرب من نحره قال له: «ما بال هذه البقرة هزيلة! انها لا تصلح للذبح» فقال المريض: «انها تصلح للذبح فاذبح» ولكن ابن سينا أبى أن يذبحها حتى تمتلىء لحماً وشحماً. وأشار على «البقرة» أن تأكل كثيراً وتشرب كما يأكل الناس ويشربون. فسأل المريض: «أوتذبحني إن فعلت وأصبحت سميناً؟» فأجاب بالايجاب. وأخذ المريض يأكل ويشرب كثيراً ويعاشر الآدميين حتى برىء من علته وردّ اليه صوابه!.

ولعل أجل ما في كتاب «شخصيات ومذاهب فلسفية» الفصل الذي أفرده الدكتور عثمان أمين لديكارت، فهذا رجل بدأ منهجه الفلسفي بالشك في كل شيء حتى في ذاته، وانتهى باليقين القائم على دعائم لا تقبل النقض ولا تتسرّب اليها الريب.

أما فيما يختص بترجمة المصطلحات الفلسفية، فالحق أن المؤلف أجاد كل الاجادة في اختيارها، غير اني كنت أؤثر أن يستعمل كلمة «الكائن» بدلاً من «الوجود» لتؤدي معنى Being وكلمة «الايحاء» بدلاً من «الحدس» لتؤدي معنى Intuition وكلمة «الاستنتاج» بدلاً من «الاستنباط» لتؤدي معنى Deduction.

وكتاب «شخصيات ومذاهب فلسفية» نموذج موفق للفلسفة المبسطة. والدكتور عثمان أمين نموذج صادق للشباب الوثاب. وقد جال من قبل جولات موفقة في رسائله «ديكارت» و«محمد عبده» و«الفلسفة الرواقية» وما زالت جعبته عامرة بعد المجلات بما يتدفق من فيضها.

٢ — ابرهيم الكاتب

تأليف ابرهيم عبد القادر المازني — ٣٠٨ ص . من الحجم الكبير — مكتبة مصر بالفجالة

ليس من ينكر على الكاتب الكبير الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني فضله على الأدب العربي وهو الذي سخر قلمه في خدمة الضاد زمناً يربو على ربع قرن . فهو كاتب خفيف الظل ، سهل العبارة ، دقيق التصوير ، صادق الرواية ، مرح حتى ليفتح لك قلبه على مصراعيه في أول لقاء . فهو يقبض على أزمة اللغة ويملك نواصيها ويتحكم في بيانها ، فيختار من الكلمات معاني دقيقة معبرة ، ويبعث من مُسوَّات اللفظ شخوصاً تراهم رأي العين البصيرة النافذة التي لا تترك شاردة ولا واردة ، ولا تغيب عنها حركة مهما قلَّ شأنها ، ولا تهمل تعبيراً من تعبيرات الوجه أو حركة من حركات الجسم الا رصدته وأحسنت تبيانه .

والأستاذ المازني رجل حياة ، شغوف بالواقع ، مزوف عن المثالية والمبالغة . فتجيء جميع كتاباته طبيعية لا تصنع فيها ولا ادعاء ، تعكس صوراً لا تنقصها الحياة ولا تموزها الصراحة . على هذا المنوال عوَّدنا الصديق الكبير في كل ما تخط يده ، فما فيء يرجع إلى الدنيا في كل ما يكتب ، يستقي منها مادته ويصوغها في قوالب بعيدة عن التعجيز او المجاهدة . ومن يقرأ كتبه « ابرهيم الكاتب » و « ابرهيم الثاني » و « عود على بدء » و و . الخ يرى هذا جلياً .

ومنذ نحو خمسة عشر عاماً خرج الأستاذ المازني على العالم العربي بكتابه الرائع « ابرهيم الكاتب » الذي أودعه عصارة قلبه ونفسه وفكره ، فصوَّر فيه حوادث أغلب الظن أنها عرضت له — وكان هو بطلها أو ضحيتها على الأصح . وملك في كتابته مملكاً يدنو السأم من القارىء ويطرد الملال عنه . « فابرهيم الكاتب » قصة كثيرة الفصول ، بل هي في الحق مجموعة قصص شدَّت الى بعضها البعض بحبكة قصصية بارعة خلقت منها رواية تامة الفصول تجمع الى صدق التصوير جمال المعاني وبساطة الحياة ورصانة الأسلوب ، وكيف لا يكون هذا ولغة قد لانت للأستاذ المازني وطاوعته وأسلمته قيادها ؟ .

واليوم يطلع علينا الاستاذ الكبير بالطبعة الثانية من ذاك الكتاب ، لم يدخل عليها تعديلاً ما لأنه رأى أن روايته أصبحت من الآثار الأدبية المعتمدة التي لا يحق له أن يتناولها بالتعديل أو التحريف . ولا تزال الرواية تحتفظ بجدتها ، ولا تزال شخوصها تتمتع بصحة وارفة ، فلم يشخ « ابرهيم » وهو البطل ، ولم يَعْلُ المشيب هامة « شوشو » ولم تنل الأيام من « الشيخ علي » ولم يترهل « الدكتور محمود » ولم تتخلَّ الطفلة « زوزو » عن طفولتها ، وإنما استطاعت الرواية لفرط جودتها الابقاء على رونقها والاحتفاظ بالحياة تدبُّ في أوصالها .

وديع فلسطين